

حياة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الإسلامية

للمختبرين الإنجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأستاذة

هدى الفتاح السمرنجارى عمر الدسوقي

عبد العزيز عبد المهيمن (١)

—————

لم أقصد بكتابة هذا الفصل أن أضم إلى البحوث الكثيرة التي عالجت موضوع السيرة بحثاً جديداً ، وإنما قصدت دراسة حياة محمد في مظهر واحد من مظاهرها ، هو الذي يمثل لنا فيه رسولاً يدعو الناس إلى دين جديد . ومن الطبيعي أن تتوقع في حياة منشى الإسلام والداعي له عرضاً للوضع الحقيقي لما اقترن من النشاط بالتبشير بالدين الجديد ، ولو أننا اعتبرنا حياة النبي معياراً خلقياً لما يجب أن يكون عليه المؤمن العادى ، لحق أن تكون حياته كذلك معياراً لما يجب أن تكون عليه الدعوة الإسلامية ، وما دامت حياة النبي عنواناً للدعوة الإسلامية ، فإننا نتطلع إلى معرفة شيء عن الروح التي استولت على من يأخذون مأخذهم ويستنون بسنته ، وعن الوسائل التي قد يعمدون إليها في سبيل تحقيق أغراضهم ، ذلك لأن الروح التبشيرية في الإسلام ليست فكرة متأخرة في تاريخها ، وإنما نذهب إلى أنها تقترن بالدين منذ نشوئه الأول . ونود في هذه العجالة أن نبين ما ذهبنا إليه ، ونوضح كيف أن عمداً النبي (ص) مثال للبشر الإسلامى ، ونحن بغض النظر عن معالجة حياته الأولى أو العوامل ذات الأثر في حياته حتى بلغ رجولته ، أو دراسة حياته باعتباره سياسياً أو قائداً حربياً ، نعنى العناية كلها بدراسة حياته كبشر ونذير .

ومحمد ما لبث بعد اضطراب وكفاح نفسانى طويلين أن اقتنع

(١) انعمل بنا جهد نفعر للعائلة الأولى من ترجمة كتاب « البداية إلى الإسلام » لمؤلفه المستشرق العظيم والمؤرخ المحقق السير توماس أرنولد الإنجليزي أن الأستاذين عمر الدسوقي وعبد العزيز عبد المهيمن كانا يعملان في ترجمة هذا الكتاب أثناء حياتها الدراسية بالانجلترا وقد اتفقا الآن مع الأستاذ عبد الفتاح السمرنجارى على أن يشترك الثلاثة في نشر هذا الكتاب تبعاً في الرسالة ، وفي إعداد البحوث الخاصة بالتعليق على الكتاب حتى يخرج في وضعه الأخير متناسباً مع خطر الموضوع الذي يماجله

بصحة رسالته السماوية ، وكانت أولى جهوده أن دأب في إقناع أهله بذلك الدين الجديد القائم على وحدانية الله ، وإنكار عبادة الأوثان ، ووجوب أن يخضع الإنسان لمشيئة الخالق ، تلك هي الحقائق المجردة التي دعاهم إلى الإيمان بها . فكان أول من آمن به زوجه الوفية المخلصة خديجة التي تزوجت قبل هذا بخمسة عشر عاماً من قريب لها فقير كانت قد استخدمته في تجارتها ، فصيرها أجدى عليها وأربح ، تزوجته بهذه الكلمات :

« يا ابن عمى ، إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك (١) .

فانتشلته بهذا من الفقر ومكنته من العيشة في المستوى الاجتماعى الذى يليق بنسبه ، ولكن هذا كله يسير إلى جانب ما بدأ من وفائها وإخلاصها إذ شاطرته اضطرابه الفكرى وغمرته بطفها وشملته برعايتها في ساعة الشدة . أنه الوحي مره وهو في الغار فأوى إلى خديجة ، وقد شمله الفزع واستولى على قلبه الاضطراب ، فأمنت خيفته وأذهبت عنه الروح وقالت تخاطبه :

« أبشر يا ابن عمّ وائسبت ، فواللهى نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ووالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتمين على نوائب الحق »

ولقد بقيت حتى وفاتها سنة ٦١٩ م أى بعد خمسة وعشرين عاماً في حياة الزوجية تفيض عليه دواماً من حنانها وعزائها وتشجيعها كلما أصابه من أعدائه الأذى أو ساورته في نفسه الشكوك ، وفي هذا يقول ابن اسحاق :

« كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به عن الله تعالى ، وآزرته على أمره تخفف الله بذلك عنه ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من قومه من رد وتكذيب إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقته وتهوّن عليه أمر الناس (٢) »

هذه خديجة يقدم لنا التاريخ في سيرتها أروع الصور في الحياة الزوجية وأنبهها .

ومن بين السباق في الإيمان بدعوة محمد اثنان كان قد تبناهما هما زيد وعلى ، ثم صديقه الحميم أبو بكر الذى قال فيه النبي فيما بعد : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبى بكر ، ما عمك عنه حين ذكرت له »

(١) ابن اسحاق ص ١٢٠ (٢) ابن اسحاق ص ١٥٥

على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته «
فتأثر أبو طالب وقال له :

« اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك
لشيء أبداً »

ولما أن ضرب الإخفاق على هذه المحاولات السلبية اشتدت
موجدة قريش وتضاعف احتدامهم وأيقنوا أن انتصار ذلك الدين
الجديد معناه القضاء على دين بلادهم وعلى ما يمتازون به بين العرب
من السيادة القومية ، ثم هم فوق ذلك يخسرون الثروة والجاه
الذين يستأرون بهما عن طريق سدانة الكعبة الشريفة . أما محمد

نفسه فقد كان يرغم ما تعرض له دواماً من بذاءة القوم وسفاهتهم
في ذمة أبي طالب وذمار بني هاشم الذين منعه وحلوا دون
أى اعتداء على حياته ؛ يحفزهم على هذا ما جبل عليه العرب من قوة
العصبية ، مع أنهم لم ينطفئوا نحو الآراء التي دعا إليها . أما الفقراء
والرقيق الذين لا ملاذ لهم ولا جوار فلم يجدوا مخرجاً من طائفة
الاضطهاد النليظ ، فكانوا يجسسون ويمذبون كي يفارقوا عقيدتهم .

وكان أبو بكر يشترهم ليخلصهم من العذاب ، فقد اشترى بلالاً^(١)
ذلك العبد الإفريقي الذي كان محمد يطلق عليه (أول ثمار الحبشة)

والذي لقي من ضروب الاتهان ما لم يلقه أحد ، فكان يلقي
في الرمضاء وقت الظهيرة وقد حيت الشمس ثم توضع على صدره

صخرة ثقيلة ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد
وترجع إلى عبادة الأوثان ، وبلال لا يجيب على ذلك إلا بقوله :

(أحد أحد) . وهلك شخصان متأثرين بما أصابهما من الاضطهاد
وما ألم بهما من نوازل القاسية . ولما أن رأى محمد ما نزل بالمسلمين

من الأذى مع عدم قدرته على تخليصهم مما هم فيه نصح لهم بالهجرة
إلى الحبشة ، فخرج في السنة الخامسة من النبوة (٦١٥ م)

إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نساء ، وهناك رحب بهم ملكها
النصراني . وكان فيمن هاجروا مصعب بن عمير ، وفي سيرته

يتمثل أقصى ما أصاب المؤمنين من بلاء ومحنة ، فقد أبغضه
من أحبهم ومن كانوا من قبل لا تقصر قلوبهم عن الولوع به .

أسلم بعد أن تقهّم تعاليم الدين الجديد في بيت الأرقم ، ولكنه
أخفى إسلامه لما كان له من مقام كبير في قومه ، ولما كان له من حب

جم في قلب أمه ، وأمه لا تقل عن قومها كراهية للدين الجديد .
ثمها لبثت هذه الحقيقة أن تبديت للناس وذاع إسلام مصعب ، فأطبقوا

عليه وسجنوه ، ولكنه استطاع الهرب وخرج مهاجراً إلى الحبشة
(١) هو للجمهور في العالم الإسلامي (بالوذن الأول)

وكان أبو بكر تاجراً على سعة من المال ، يحترمه قومه احتراماً
شديداً لكرم خلقه وذكائه وكفايته ، أنفق بعد إسلامه الجزء
الأكبر من ثروته في شراء الأرقاء المسلمين الذين اضطهدهم مواليهم
لاعتناقهم تعاليم محمد . وحين أسلم أبو بكر دعا إلى الله فأسلم بدعائه
خمسة نعتبرهم في عداد السابقين في الإيمان ، هم سعد بن أبي وقاص
الذي فتح فيما بعد بلاد فارس ، والزيير بن العوام الذي اشتهر
بالكفاية الحرية ، وعبد الرحمن بن عوف التاجر الثري ، وعثمان
ثالث الخلفاء الذي تعرض للأذى والاضطهاد منذ إسلامه ، فقد
أخذته عمه فأوثقه كئافاً وقال له :

« ترغب عن ملة آبائك إلى دين مستحدث ! فوالله لا أحلك
أبداً حتى تدع ما أنت عليه » . فقال عثمان :

« والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه »

فلما رأى عمه صلابته في الثملق بدينه أطلق وثاقه وتركه .
واستطاع النبي أن يجتنب إليه طائفة أخرى أكثر أفرادها من

الموالي والفقراء ، وبذلك نجح في أن يجمع حوله فئة قليلة من
التابعين خلال السنوات الثلاث الأولى من الدعوة . وكان التوفيق

الذي أصابه محمد في هذه الجهود السرية مشجعاً له على أن يوسع
نطاق دعوته ويجهز بها ، فدعا عشيرته فاجتمعوا فقال لهم :

« يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء
قومه بأفضل مما جشتم به ، قد جشتم بخير الدنيا والآخرة ،

وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على
هذا الأمر ؟ »

وهنا صمتوا جميعاً ولم يتكلم غير علي في حماسة الصبي فقال :

« أنا يا رسول الله »

وما كاد على يفرغ من كلامه حتى علا ضحك القوم ساخرين
مستهزئين . ولم يكن ذلك الإخفاق ليصد محمداً عن تبليغ رسالته

فدعا الناس في مناسبات أخرى ، ولكن دعوته لم تلق منهم غير
السخرية والتحقير

وحاولت قريش أكثر من مرة أن تقرى عمه أبا طالب
باعتباره عميد بني هاشم الذين ينتمى إليهم النبي كي يردعه عن سب

آلهتهم وهيب دينهم ودين آبائهم ، وهددوه وقالوا إما أن تكفه
عنا وإما أن نحلى بيننا وبينه ، فنصح أبو طالب لابن أخيه أن يبق

على نفسه وعليه وألا يخله من الأمر ما لا يطيق ، فأجابته النبي :

« يا عماء ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري

قال عمر : « وأى أهلى ؟ »
قال الرجل : « كَحَتْنِكَ وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك
فاطمة زوجة ، فقد والله أسلما ! »
فرجع عمر إليهما وعندهما خباب يقرئهما القرآن ، فلما سمعوا
صوت عمر أخذت فاطمة الصحيفة فألقها تحت نعليها ، وقد سمع
عمر قراءة خباب فلما دخل قال :

« ما هذه الهيمنة ؟ »

قال : « ما سمعت شيئاً »

قال : « بلى ، وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه »
وبطش بحتنته سعيد بن زيد فقامت إليه أخته لتكفه عن
زوجها فضربها فشحها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته :

« قد أسلما وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت »

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم في وجهها ندم وقال لها :
أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون فيها الآن حتى أنظر
إلى ما جاء به محمد . وبعد تردد أعطته الصحيفة وفيها (طه)
فلما قرأ بعضها قال :

« ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! »

وانشرح صدره للإسلام وما لبث أن قال :

« دلني يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم » (يتبع)

الأعراض التناسلية

للأمراض التناسلية تأثير واضح على الصحة العامة وعلى الحالة
العصبية لدى الأفراد وإهمالها يدعو لمضاعفات كثيرة صعبة العلاج.

الركنر حسنى الصمير

بشارع ابراهيم باشا رقم ٦٧ بمصر

يعالج هذه الأمراض بنجاح مضمون تلفون ٥٠٤١٤

شرح منهج التعليم الأئنيامي

كتاب في جزأين طبخته مطبعة الرسالة للمرة الثالثة يشمل:
(الدين، الأخلاق، التربية الوطنية، المحادثة والإنشاء، الإملاء،
المحفوظات، الصحة، التعليم المنزلي، الأشياء، التاريخ،
الجغرافيا) لجميع الفرق بنين وبنات. مزينا بالخرائط والرسوم.
ثمان الجزء ٥٠ ملياً ترسل على مكتب بريد منية سمحود باسم
عبد المؤمن محمد النقاش المدرس بمدرسة البنات .

وسار حقد قريش في إثر المهاجرين إلى الحبشة فأرسلوا وراهم
بمئة من رجلين يطلبان إلى النجاشي أن يسلمهم إليهما ليردوهم
إلى قومهم ، ولكن النجاشي سأل المسلمين عن أمرهم ، ولما أن علم
منهم الخبر اليقين أبى أن يسلمهم وقد جاوزه وزلوا بلادهم واختاروا
حمايته ، قال المسلمون للنجاشي عندما دعاهم وسألهم عن أمرهم ما يأتي :
« أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة
ونأقي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار وأكل القوي منا
الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئاً ونمخلع
ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة
وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا
عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة
والصيام ، فأمانا به وصدقناه وحرمتنا ما حرم علينا وحللتنا ما أحل
لنا ؛ فتعدى علينا قومنا فمذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة
الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا
إلى بلادك واختبرناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك
أيها الملك » قبل النجاشي رجاءهم ورد رسول قريش خائبين

في ذلك الوقت بذلت جهود جديدة في مكة لإغراء محمد بالجاء
والمال على أن يكف عن الدعوة إلى دينه ، وضاعت كل هذه الجهود
عبثاً . فلما عاد رسولا قريش إلى مكة يعرضان نتيجة سعيهما ضد
المهاجرين إلى الحبشة ، وكان قريش يترصدون خبرهما ويتحينون
عودتهما ، حدث حادث خطير ، هو إسلام شخص كان من قبل
أشد وأغلظ أعداء محمد ، وكان يبارضه بحماسة وحدة لا يجدها
الوصف ، وكان المسلمون يمتدرونه بحق أقوى خصوم الإسلام
وأشدهم ، وأصبح بعد إسلامه من أعظم الشخصيات وأنبلاها
في الصدر الأول من تاريخ الإسلام ، ذلك هو عمر بن الخطاب
حدث يوماً وهو في نوبة غضب على النبي أن خرج ومعه
سيفه يريد قتله ، فلقى رجل من أقاربه فقال له :

« أين تريد يا عمر ؟ »

« أريد محمداً الذي فرق أمر قريش وعاب دينها وسبَّ

آلها فأقتله ! »

فقال له : والله لقد غررتك نفسك ، أرى بني عبد مناف
تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهلك
فتقيم أمرهم ؟